كُن مُنصفًا سيدي القاضي

وقفت في المحكمة العُليا للقضاء وكانوا قد أتهمُها بالظلم، ولم ترَ شخصًا واقفًا ساندًا لها وبجانبها، فأجهشت بالبكاء قائلة:_

يا سيدي؛ لمَ لا ترى الناس ما نفعله؟، لمَ دائمًا نشعُر بتجاهل الآخرين لنا؟، لمَ ترمون عليّ خيوط الظلم والشك ولا تعلمون ماذا فعلتُ أنا لأنال رضاكم؟ لمَ القضاء ليس بعدلٍ معي هذة المرة؟..

أقسمُ أن يداي مَجرُحتان وما زلتُ أتشبثُ بما أفعله لهم، قلبي بالحزنِ يحترق وما زلتُ أقيد لهم شموع السعادة، قوت يومي وهو الطعام وكان يُكفيني وحدي ولكن أُجاهد أن أُقاسمُه مع من أحب.

لمَ لا يرى العالم حزني ويتهمني بالسعادة؟، لمَ ترون ما أفعله لا شيء وهو في الحقيقة كل شيء!.

أكاد أموت وجعًا من اِهتهامَتكم الباطلة، يكاد قلبي ينفطر بتجاهلكم لمَ أفعل وأن أكثرت فأنا في نظركم لا شيء، لمَ يراني العالم بعينه فقط ولا يراه حبه بقلبي!

أنا فقيرة يا سيدي؛ فقيرة المكان، والملبس، والدواء، والطعام، والأصدقاء..

أغنناني الله برجلٍ رأيته الدنيا ولم يراني قط، أشعلت له أصابعي العشر شمعًا وجل ما نظر له لمَ التكلفة؟، ألدينا من المال ما يكفي لأطيّب حرج يداك!.. غبيّة.

غبيّة!، يراني غبيّة يا سيدي وما فعلي إلا لرؤيته سعيدًا، لمَ يعاملني العالم بهذة القسوة، وأنا وأن كان ربيع عمري نيفُ العشرين إلا أنني ما زلتُ طفلة، أريد من يقول لي دومًا أنني أحبك وأنك تعنين لي الكثير ويحاول أن يُطمئنُني ويضمني!

لم تلقوْن عليّ حبال الظلم بفعلي ولا ترون لمَ وبأي شأن فعلت كذا؟.

وهل تكتثرون؟.

لا، ورب محمدٍ سأظل أثرثر هنا ولكن نهايتي السجن! ظلم القلب والمشاعر وعدم إعطائي حقي في المعاملة هو أكبر سجن لي، هو الحبس كما يجب أن يكون، هو المعاناه والبكاء الذي وأن ظللُت أجهشه أمامكم لا تعطون لبالكم من أهمية، فاضرب بحكمك عليّ سيدي القاضي فأنا لم أعد أهتم!

أن ذبحة قلبي بفارقهم سَتظلُ تؤلمني عمرًا أفكر فيه في حبسي، القي بحكمك يا سيدي فأنا الآن أمامكم ميِّتة الفؤاد..

ولكن الرحمة! الرحمة يا سيدي.

وتمت الجلسة بعدم انتباه القاضي لها وعدم انتباه أحدٍ لها -كعادتها، ورأوها ظالمة حتى وأن لم تفعل أي شيء.

يقولون أن المُتألم عندما يُبوح عن وجعه يُبدع في إظهارهِ، بحيث تصل لك كلماتي على هيئة ندابات صغيرة كادت أن تخترق جدار قلبك لتسكُن!، وكيف أبوح عنها؟

كيف أصف لك تجسيد كلماتي الهاربة، كيف أصف لك اهتزاز قلمي عند الخط به؟، كيف أُهيء لك حالتي النفسية التي أعيشها بصفاءِ ذهن وترتيبٍ مُحكم، لا أستطيع الكتابة، لا أستطيع أن أجعل نصوصي تجذبك نحوي، لا أستطيع أن أجعلها تَعبُر إحكام روحك وقلبك المُنغلقان، لا أستطيع أن أجعل سردي كصورةٍ مجسدة تجول في خاطرك، وكيف بسردي!، هل هو مُتناسقٌ سلس الوصول؟، لا أعلم أيضًا من أين أتت كل تلك الكلمات لأكتب بها، هل تشفقُ على حالي فأتت لمُعانقتي!، هل تسمع صريخ قلبي الصامت، آنين

روحي المضطربة، هل تعيش في عالمٍ مليءٍ بالضجيج الداخلي فحاولت بأن تهرب فزعةً من هول ما رأت!، لا أعلم.. أنا لا أعلم.

الحُزن يسود قلبي، يسكُنه، لقد أصبح سيدًا الآن، لقد تويجَ على العرش ليتحكم، كنت أتمنى أن أُبوح عن حُزني بشكلٍ يليق بمقامه، أردتُ أن أبوح لك بحالتي يا سيدي ولكن.. لقد فشلت أيضًا في جعل كل هذة الكلماتِ نصًا تسترق له روحك ويأنس بهِ وجدانك، حاولت التعبير ولكن فشلت.

فحاولت الكتابة بأن تشفق عليّ لتهدأ روحي، ولكن أبكتني.

فإليكم بعض ما يُمر بهِ الإنسان حينما يتبدل حاله من الفرح إلى الحُزن، بعض الحالات الواقعية، والمشاعر الأكثر وجودًا في قلبِ كلِ شخص..

***